التحايا

تفريغ

الكلمة الصوتية

بعنوان: شرح حديث

المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف

للشيخ عطية الله الليبي

التحايا للإعلام الجهادي

قسم التفريغ

١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

شرح حديث (المؤمن القوي خيرٌ وأَحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف)

للشيخ/ عطية الله الليبي (رحمه الله)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وأصحابه وإخوانه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:-

فموضوعنا اليوم كلمة بسيطة هي تذكرة اخترتُ لها حديثًا من أحاديث النبي ﷺ وهو الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي خيرٌ وأَحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لَوْ تفتح عمل الشيطان)[1] انتهى الحديث

هذا الحديث النبوي الكريم يُعتبر في الحقيقة قاعدة من القواعد وفيه جملة من الأحكام وجملة من الآداب العظيمة، يبدؤه النبي ﷺ بقوله: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) وفي هذه الجملة من المعاني:-

- أن المؤمن يمكن أن يكون قويًا ويمكن أن يكون ضعيفًا.
- وأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.
- وأن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف ولكن في كلٍ خير.

قال: (وفي كلٍ خير) في كلٍ خير هذا احتراز من توهُّم، هو لدفع توهم أن الضعيف مذموم مثلًا يعني أو أنه لا خير فيه؛ لأن أحيانًا أنت إذا مدحتَ شيئًا قد يُتوهَّم أنك تذم ضده، هذا كقول الله -سبحانه وتعالى-: {لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ}[2].

أو كقوله -تعالى-: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}[3].

---

[1] صحيح مسلم: (2664).
[2] سورة الحديد: (10).
[3] سورة النساء: (95).

فالنبي ﷺ هنا يقول: (المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) ثم قال: (وفي كل خير) المؤمن كله خير قد جاء هذا مصرحًا به طبعًا في أحاديث كثيرة وهذا متقرر معروف، يعني المؤمن كله خير، المؤمن خيره كثير ولهذا شبَّهَه النبي ﷺ بالنخلة كما قال في الحديث رواه البخاري في صحيحه: (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟) فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييتُ، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: (هي النخلة)[4].

وشبهها بالنخلة لإفادة وجه الشبه يعني أنها نافعة، كثرة النفع، وعموم النفع وأنها يُنتفع بها على كل وجه وينتفع بكل شيء منها كذلك المؤمن، المؤمن حيث ما كان نَفَع، المؤمن فيه خير كثير، نعم، حتى وإن كان فيه بعض الشوك وبعض الشر أحيانًا لكن باعتبار الغالب فهو خير وهو نفع وهو صلاح، المؤمن خير وخيره كثير وغالب ونفعه غالب "وفي كلٍ الخير"، لكن المؤمن القوي فيه من الخير أكثر مما في المؤمن الضعيف.

ما معنى القوة في قوله: (المؤمن القوي) قال العلماء: معنى القوة هنا قوة العزيمة في تحصيل المنافع. ولهذا قال بعدها: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز) فنهى عن العجز، فالقوة هنا ليست قوة الإيمان، بعض الناس توهم أن المقصود بالحديث قوة الإيمان، المؤمن القوي بإيمانه يعني خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف إيمانًا! لا، ليس كذلك.

الحديث الجُمل التي بعد هذه الجملة توضِّحه وتشرحه ليس هذا المراد والله أعلم إلا أن يُقال أنه داخل في عموم لفظ القوي ممكن، لكن المراد بالقصد الأول وأصالةً هو المؤمن القوي، القوة في تحصيل منافع وخيرات الدنيا والآخرة هذه القوة، قال العلماء: "هي قوة العزيمة في التدبير وفي تحصيل المنافع الدنيوية والأخروية" يعني هناك من المؤمنين مثلًا من هو مؤمن ضعيف مسيكين ما يحسن التدبير ما يحسن يتصرف لا يحسن يجاهد ولا يحسن يأمر بمعروف ولا يحسن يصدع بالحق ولا يحسن يقود الثورات، ولا يحسن يعني أن يعمل الأعمال العظيمة، وهناك مؤمن قوي يصلح لهذا ويجاهد ويأمر ويصدع ويفعل ويقوم بالمهمات وبعظائم الأمور، ويرتكب المشاق، هذا المؤمن القوي.

[4] صحيح مسلم: (2811)، صحيح البخاري: (131).

المؤمن القوي هذا يحتاج إلى -قوي هو كيف كان قويًا؟ القوة هذه ملكات- يحتاج استعداد، يحتاج إلى استكمال أدوات القوة، القوة البدنية القوة العقلية والفكرية لكن أهمها قوة الإرادة وقوة العزيمة؛ ولهذا غالبًا العلماء يقولون في شرحه: "قوة العزيمة في تحصيل المنافع الدنيوية والأخروية".

(المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) وفي هذا حثٌ على القوة في تدبير شؤون الدنيا والآخرة، تحصيل منافعك الدنيوية والأخروية فلتكن فيها أيها المؤمن قويًا.

يوضحه ما بعده قال: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز) هذه الثلاث جمل "احرص على ما ينفعك" أيها العبد المؤمن، "احرص على ما ينفعك" يعني ليكن منك حرص دائم على ما ينفعك من خيري الدنيا والآخرة.

(احرص على ما ينفعك) المؤمن القوي يحرص على ما ينفعه، الحرص، وقوة الحرص على النفع هذه أسباب النجاح والفلاح، حتى في مشروع دنيوي بسيط لمَّا تكون حريص، كثير من الناس عندهم أماني، عندهم حتى أفكار أحيانًا ومشاريع معينة، وممكن هو عنده تخيُّل جيد وفكرة جيدة لكن ما ينجح المشروع بمجرد أنه فكرة! لا بد أن تتحول الفكرة إلى إيمان، إلى اعتقاد بأن هذا نافع وهذا مفيد وأن هذا لا بد أن نفعله، فيكون فيه نوع من الحرقة ونوع من التصور الحامل للإنسان على العمل وهو إيمان بهذه الفكرة، وقناعة معينة، بمعادلة معينة يعني قضية معينة تؤمن بها فتحولها إلى عمل، هذا الإيمان وهذا التحول إلى عمل هو أن تحرص على ما ينفعك.

قوة الحرص أنه يتضمن قوة العزيمة في فعلك لِما اقتنعتَ به هذا سبب عظيم من أسباب النجاح في أمور الدنيا والآخرة، الحريص على الجنة والدرجات العلا يحرص على فعل الطاعات والخيرات ويُسابق إليها، ويحرص على الشهادة مثلًا باب مفتوح سهل ميسر من أبواب الجنة، باب يرفعك إلى منزلة النبيين والصديقين خلاص ما في بعدهم إلا الشهداء!

أقرب الطرق إلى الدرجات العلا، هو اقتَنَع بهذه الفكرة والباب مفتوح والسوق ما زال ما تسكر، اقتَنَع قناعة تحولت إلى كأنها رأي عين فيندفع إلى الجهاد وإلى ساحات الاستشهاد فيستشهد في سبيل الله هذا حريص، هذا حرص على أمر أخروي.

الحرص على أمر دنيوي كثير، كثيرة أمثلته في تدبير أمور دنيوية في تحصيل معاشنا في أمورنا الاجتماعية في أمورنا الاقتصادية، كمشروع اقتصادي بسيط، في أمور الحرب منازلة الأعداء، في سياسات الأمم في كل شيء (احرص على ما ينفعك)، في هذه الجملة للتنبيه بل أمر بالأخذ بالأسباب، هذا ما يسميه العلماء الأخذ بالأسباب.

والمقصود بالأسباب: جمع سبب، وهو الأمر المفضي إلى أمر آخر، سبب مفضي إلى نتيجة معينة إلى هدف إلى مقصود هذا هو السبب.

وعندما نقول نأخذ بالأسباب أي: نعمل بهذه الأسباب هذه الوسائل الموصلة إلى مقاصدنا المقاصد المشروعة التي نريدها التي تندرج فيما شرع الله -سبحانه وتعالى- وأباح وأحل أو أمر.

فالأخذ بالأسباب الموصلة إلى المقاصد مأمور به والحقيقة أن فيه تفصيل طبعًا، الأخذ بالسبب متى يكون واجبًا ومتى يكون مستحبًا أو مباحًا فهو فيه تفصيل بحسب الهدف، بحسب المقصود، فإن كان المقصود واجبًا يعني تحصيله وتحقيقه واجبًا كان السبب المفضي إليه واجبًا؛ عرفتم هذه؟ لأن ما لا يتم المأمور به فهو مأمور به.

الشريعة تأمر بكل شيء توقَّف تحصيل المأمور به عليه، يعني لو نحن أمرَنا الله -سبحانه وتعالى- مثلًا بالجهاد، نحن في باب الجهاد هنا وفي الجهاد، الله -سبحانه وتعالى- أمرنا بالجهاد بجهاد أعداء الله وقتال أعداء الله -سبحانه وتعالى- دفعًا وطلبًا فلا بد من إعداد العدة لهذا الجهاد، وهذا القتال فيه إعداد العدة وحسن التدبير والتنسيق وترتيب أمورنا وغيرها.

كل ما يتوقف عليه تحصيل هذا السبب اللي هو انتصارنا على الأعداء ودحر الأعداء وهزيمة الأعداء وأن نغلب عليهم وأن ندفع شرهم وأن نحرر أرضنا منهم ونحرر مقدساتنا وهكذا كل ما يتوقف عليه ذلك فهو واجب، تبقى تفاصيل بعد ذلك يعني بحسب ما يتوقف عليه بوضوح يعني وبحسب قرب ذلك وبعده من معنى توقف عليه، صحيح؟

أما إن كان المقصود مستحبًا فالسبب الموصل إليه مستحب، وإن كان مباحًا فالسبب الموصل إليه مباح وهكذا يعني.

فالمقصود (احرص على ما ينفعك) فيها الأمر بالأخذ بالأسباب والحرص على منافع الدنيا الآخرة، والحرص هذا قلنا هو الذي يتحقق به النجاح والفلاح في الأمور الدنيوية والأخروية، أما الإنسان الذي ليس بحريص، عاجز، فهذا الذي قال فيه النبي ﷺ: (ولا تعجز)

(احرص على ما ينفعك، واستعن بالله) نبَّه على الاستعانة بالله؛ ليجمع لك أيها العبد المؤمن بين أمرين لا بد أن تفقههما أيها المؤمن وهما: الأخذ بالأسباب والتوكل على الله.

الشريعة والتوحيد، الشريعة: هي الأحكام والأوامر والنواهي وما في معناها، طلب الفعل وطلب الترك وما قارب ذلك من الأحكام وأنتم تعرفون الاحكام الشرعية –قوانين الشريعة– أباح الله كذا، أمر الله بكذا، نهانا الله عن كذا، وضع الله الشيء الفلاني له علاقة بشيء آخر، هذه هي الأحكام صحيح ولا لا؟ هذه هي الأحكام، هذه الشريعة.

ومنها الأسباب: أي شيء دلت دلائل الشريعة على أنه سبب موصل إلى شيء آخر مقصود شرعًا مأمور به أمر إيجاب أو استحباب أو على الأقل مباح فهذا السبب مشروع، أو دلت دلائل الحس والتجربة والعقل على أن هذا الشيء مفضي إلى ذاك الشيء مؤدي إليه، فإن كان ذلك المقصود مباحًا أو مشروعًا يعني فهذا السبب مشروع، هذه الأسباب صحيح ولا لا؟

نحن عرفنا بدليل التجربة أن مثلًا الطريقة الفلانية هي التي تمنع الشيء –الضرر الفلاني– فنفعل هذه الطريقة الفلانية، علمنا بطريقة تجارب الأمم والشعوب وكذا أن هزيمة هذا العدو ما تكون إلا بهذه الطريقة –حرب العصابات– وبسبب التكتيك الفلاني نستعمل هذا سبب مفضي إلى ذلك الهدف والمقصود.

السبب إما أن يكون مدلولًا عليه بدليل الشرع وإما أن يكون مدلولًا عليه بدليل التجربة والعقل والحس، جيد؟ ولهذا الآيات تدل والشرع يعتبر ذلك.

فنبدأ هنا بالاستعانة بالله بعد الأخذ الأسباب، تأخذ بالأسباب وتحرص على ما ينفعك وهذا لا يكفيك، بل لا بد من الاستعانة بالله –سبحانه وتعالى– (واستعن بالله) يعني توكل عليه، (استعن) بمعنى واطلب العون منه، دلالة الألف والسين والتاء هذه دلالة الطلب، يعني اطلب العون منه، الجْأ إليه واطلب العون منه فإنه هو الذي يعينك فقط وإن لم يُعِنك ولم يأذن بتصريف أمرك وبإنجاحك وإفلاحك فلا تنجح صحيح ولا لا؟ "استعن بالله" {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}[5] {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ}[6].

---

[5] سورة آل عمران: (126).

[6] سورة هود: (88).

(واستعن بالله) فنبَّه إذن –بعد الأمر بالأخذ بالأسباب– بالاستعانة بالله –سبحانه وتعالى–، وجوب الاستعانة بالله –سبحانه وتعالى– والتوكل على الله، تستعن بالله وتتوكل عليه.

والتوكل على الله –سبحانه وتعالى– معناها أن توكِله في أمرك، أن تُوكِل أمرك إليه، وهذا التوكل يقتضي أنك أنت تثق فيه، يعني أنت كيف توكل أمورك لأحد لا تثق فيه! يمكن هذا يا أبا البراء؟ يمكن أنك أنت توكل أحدًا وأنت لا تثق فيه توكل إليه أمورك؟ لا بد من الثقة وحسن الظن، هذه الثقة وحسن الظن بالله –عز وجل– هنا في هذا المقام تحصل من أين؟ تحصل من معرفتنا بالله –سبحانه وتعالى– المعرفة بالله –عز وجل– بأسمائه وصفاته، المعرفة بجماله وكماله وجلاله –سبحانه وتعالى– وعظمته.

توحيدنا لله –سبحانه وتعالى– ومعرفتنا بالله –عز وجل– هي التي تجعلنا نثق بالله، نعرف رحمته وأنه أرحم بنا من أنفسنا وأنه أرحم بنا من أمهاتنا اللائي ولدننا صح ولا لا؟ لـمَّا نعرف أن الله بنا رحيم، وأنه بنا لطيف يلطف بنا، وأنه ودود كريم وهاب وأنه رزاق وأنه أيضًا القادر على كل شيء وهو الغالب على أمره وهو العزيز الذي لا يمتنع منه شيء، وهو القاهر فوق عباده وهو الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يعلم السر وأخفى، وهكذا نعرف صفات الله –سبحانه وتعالى–، وأنه الحي القيوم القائم على كل نفس بما كسبت والذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يغفل ولا ينسى والذي لا يعجزه شيء.

يعني صفات الله –سبحانه وتعالى– وأسماءه الحسنى عندما نعرفها ونحصيها ونعرف معانيها ونقف عندها ونتدبرها تحصل عندنا الثقة بالله –سبحانه وتعالى– الثقة بقدرته وقوته وبرحمته ولطفه وإحسانه، والثقة بأنه لا يعجزه شيء وأنه أرحم بنا من أنفسنا –كما ذكرنا هذه الأشياء– فتوكله في أمورك تتوكل عليه، {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا}[7] اتخذه وكيلًا لك، وكِّل إليه أمرك وشأنك وفوِّض إليه أمورك وقل: حسبي الله ونعم الوكيل، نِعْمَ الله وكيلًا لنا، فهذا نبَّه على أيش؟ نبَّه على الاستعانة والتوكل الذي هو التوحيد بعد الأمر بالأخذ بالأسباب؛ ولهذا توصف شريعتنا وديننا بأنها ماذا؟ الحنيفية السمحة أو السمحاء.

الحنيفية، قال العلماء: "حنيفية في التوحيد" يعني كاملة في التوحيد هي أكمل الأديان في التوحيد، صحيح أن الانبياء كلهم جاؤوا بالتوحيد بدين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له ولكن ديننا حتى في التوحيد هو أكمل من الأديان

[7] سورة الزمل: (9).

السابقة، هناك أشياء كانت في الأديان السابقة مباحة حُرمت في ديننا زيادة في تحقيق التوحيد، كقول مثلًا: ما شاء الله وشئت، وأشياء من هذا القبيل كالسجود لغير الله -سبحانه وتعالى- وغيره؛ حماية لجناب التوحيد -كما قال العلماء- وسد منافذ الشرك وذرائع الشرك وغيرها؛ لأن هذا الدين إذن وهذه الشريعة هي أكمل حتى في التوحيد في تحقيق التوحيد، وفي الشريعة شريعة سمحة أو سمحاء بمعنى فيها اليسر، البعد عن التكلف، والبعد عن الصعوبة والتعسير، فيها اليسر، فيها الواقعية، فيها البعد عن التكلف الذي هو السماحة.

السماحة ضد التكلف في الأصل يعني ما فيها تكلف {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}[8] "نُهينا عن التكلف" قال سيدنا عمر -رضي الله عنه-.

فإذن نبَّه على الأمرين الشريعة والتوحيد، الشريعة الأخذ بالأسباب والعمل بالقوانين هذا الشيء مفضي إلى هذا الشيء، لكي تنجح في الشيء الفلاني لازم تعمل كذا وكذا، هذه الطريقة هذه ميكانيكة لا بد أن تفعلها، يستوي في هذا المؤمن والكافر، حتى الكافر يعرف أيش؟ أن كثير من هذه الأسباب مفضية إلى هذه المقاصد، نحن المؤمن يزيد عليهم بما علمه الله -سبحانه وتعالى- من هذه الشريعة العظيمة ومما نبهه عليه من بلاء في الأسباب والمسببات.

فهذا الشيء الأول، الأخذ بالأسباب (احرص على ما ينفعك).

ثم قال: (واستعن بالله) الاستعانة بالله -سبحانه وتعالى- والتوكل عليه وهو التوحيد، بعدها قال: (ولا تعجز) النهي عن العجز، العجز هو ضد ماذا؟ هو ضد الكَيْس في اللغة -هنا ضد- معنى الكيس مذكور في القوي، (المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف) وفي (احرص على ما ينفعك) هذا الكَيْس -الكِيَاسَة-.

العاجز: هو الذي لا يأخذ بالأسباب، العاجز هو الضعيف، العاجز هو الذي لا يعرف كيف يصرف أموره ولا يدبر شأنه، لا يحرص على ما ينفعه لا من خير الدنيا ولا من خير الآخرة هذا عاجز، هذا عَجْز يلوم الله عليه ويؤاخذ عليه؛ لأن العجز عجزان، يطلق العجز باعتبارين أو بمعنيين، إطلاقين:-

- العجز الذي هو ضد القدرة، وهذا هو القدرة طبعًا هي مناط التكليف الله -سبحانه وتعالى- لا يكلف العبد إلا ما يستطيعه يعني {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[9] شرط كل تكليف في الدين هو القدرة صحيح؟ الذي ليس عنده

---

[8] سورة ص: (86).

[9] سورة البقرة: (286).

القدرة للقيام بالتكليف يسمى عاجز وهذا غير مُكلَّف، بمعنى سقط عليه التكليف الذي لم يقدر عليه هذا التكليف جيد؟ تكليف لم يقدر عليه سقط، هذا عاجز لكن هذا ليس مقصودًا هنا، هذا لا يؤاخذ الله عليه، هذا عجز أنت لا إرادة لك فيه، كالعاجز عن القيام بالصلاة يصلي جالس أو نائم مضطجع يعني وهكذا، العاجز عن الجهاد لا يستطيع معذور، وعاجز عن الحج لا يجب عليه وهكذا عاجز عن الصيام، عاجز عن أي تكليف يسقط عليه التكليف الذي يعجز عنه؛ لأنه لا يقدر، خلاص لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها هذا عجز آخر لا يلوم الله عليه، لا لوم فيه.

- لكن العجز الذي هو منهي عنه هنا هو عجز من كَسْب الإنسان؛ ولهذا لِيم فيه لأنه عجز أنت تقدر أن تتداركه بالأخذ بأسباب القوة، تستطيع أن تزيله عن نفسك هذا العجز، هذا عجز منك أنت مِن كَسْبك ومن فعلك فنُهيتَ عنه، صح أن يتوجه إليه التكليف صح ولا لا؟

(ولا تعجز) أيش معنى العجز هنا؟ قلنا معناها عدم الأخذ بالأسباب، عدم الحرص على ما ينفعك، عدم القوة، الاستكانة والضعف، إذن المؤمن هو الكيّس الفَطِن الذي يأخذ بالأسباب ويحسن التدبير في أمره الدنيوي والأخروي ويكون قويًا، والعاجز هو الذي يترك هذه الأشياء، يترك الأخذ بالأسباب، يفرط، هو المفرط في الأسباب، الذي لا يحرص على النفع الدنيوي والأخروي، هو الذي ضعيف ضعفًا ملامًا فيه، يترك أسباب القوة يعني.

(ولا تعجز) في سنن أبي داوود وغيره أن النبي ﷺ قضى بين رجلين اختصما -جاؤوه يعني خصمان اختصما عنده- فقضى لأحدهما على الآخر -يعني أعطاه الحق، ماشي؟- فولَّى الذي قُضِي عليه -الثاني - انصرف وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فدعاه النبي ﷺ فقال له: تعال أو قال: ردوه عَلَيْ، فنادوه وقال: (ما قلتَ؟)

قال: قلتُ: حسبي الله ونعم الوكيل.

قال: (عليك بالكيس -الكيس هنا معناها الفَطانة والحرص على ما ينفعك، هو معنى الحديث الذي ورد هنا حديثنا هذا "احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز " وهو معنى القوة أيضًا- عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل).[10]

---

[10] ضعفهُ الألباني في ضعيف أبي داود (3627).

هذا الحديث في سنن أبي داوود في سنده مَقال، لكن معناه تشهد له الأحاديث الأخرى ويشهد له كثير من الدلائل، وبعض العلماء صححه أيضًا مع هذا.

ماذا قال؟ قال: (عليك بالكيس) يعني احرص على منفعتك إذا كان أنت الحق معك أظهر بيناتك ودلائلك وحُججك واحرص على أخذ حقك، لكن أنت تفرط في أخذ الحق في تحصيل المنفعة الدنيوية والأخروية ثم تقول: حسبي الله ونعم الوكيل!! ما هذا محلها، (عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل) بعد ذلك هناك محلها، خلاص لم يعد لديك إلا اللجوء إلى الله -سبحانه وتعالى- والتفويض إليه فقط، هذه معنى حسبي الله ونعم الوكيل: أي الله كافيَّ وقد فوضتُ إليه أمري وشأني.

إذن (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء -أصابك شيء يعني من البلاء والمصيبة- فلا تقل لو أني فعلتُ -وفي رواية أخرى- فعلتُ كذا وكذا كان كذا وكذا).

هذا فيه النهي عن قول (لو) بهذا القيد، يعني لا تقل: (لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا) لو، التي تفيد الاعتراض على القدر أو التسخط على القدر نوع من الاعتراض على قدر الله -سبحانه وتعالى- وقضائه والتسخط، هذه " لو" التي نُهي عنها؛ لأن "لو" ليس منهيًا عنها بالإطلاق ولهذا جاء استعمال "لو" في القرآن وفي السنة كثيرًا.

النبي ﷺ استعملها في مواضع متعددة وجمعوها العلماء، والبخاري أيضًا بوَّب في صحيحه (باب ما يجوز من اللَّو)، والشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب (التوحيد) أيضًا لو تذكرون في كتاب التوحيد (باب ما جاء في اللَّو) أدخَلوا عليها الألف واللام؛ لأنهم جعلوا هذا الحرف بمعناه أنه يفيد التمني أو يفيد ما يقاربه طبعًا هي حرف امتناع الامتناع - يقولون في النحو- امتنع جوابها لامتناع شرطها، فإذا كانت بمعنى الاعتراض على القدر والتسخط عليه فهي ممنوعة "لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا" أرشد إلى هذا بقوله: (فإن لو تفتح عمل الشيطان) واستدلوا بهذه التذييل الأخير على أنها نهي كراهة؛ لأنه قال: (تفتح عمل الشيطان) أنها تؤدي بك أيها الإنسان المؤمن إلى الوسوسة، فهي تفتح للشيطان بابًا كبيرًا عليك يدخل منه إليك وإلى قلبك فيوسوس إليك فيجعلك يعني تشك في قضاء الله -سبحانه وتعالى- وقدره وتتسخط عليه، وتتسخط على قسمة الله -عز وجل- وتتهم ربك -عز وجل- ويفسد حسن ظنك بالله -عز وجل-!

(فإن لو تفتح عمل الشيطان) والعاجز هو الذي يقول: لو، دائمًا يقول: لو أني ولو أني، ويُتبع نفسه هواها، لكن القوي الكَيِّس الفَطِن الحريص على ما ينفعه هو الذي يفعل الأشياء فإذا أصابه شيء لم يكن في حسابه بعد أن يأخذ هو بالأسباب ويستعين بالله –سبحانه وتعالى– ويتوكل عليه، عندما يصيبه شيء هنا يقول: قدَّر الله وما شاء فعل، ويقول: حسبي الله ونعم الوكيل، هنا هذه الكلمة هذا موضعها، هنا التفويض، خلاص ما عادش في من الأسباب انتهى!

الأسباب التي أمرَنا الله بها أو دلنا الله عليها أخذنا بها ولكن ليس شرطًا أنك أنت تنجح! قد تفشل بعوامل كثيرة يقدرها الله –سبحانه تعالى–، فيصيبك مثلًا شيء من قدر الله –عز وجل– مصيبة أو تصيبك شدة أو مشقة، فشل، انكسار، فتقول: قدَّر الله وما شاء فعل، ففيه أيش؟ فيه الإيمان بالقضاء والقدر والتفويض إلى الله –سبحانه وتعالى– واللجوء إليه كما لجأنا إليه أولًا نلجأ إليه آخرًا– سبحانه عز وجل–

فإذا فاتنا الأمر الدنيوي مثلًا أو أصابتنا مصيبة فعلى الأقل لا يضيع منا إيماننا، وعلى الأقل لا نُكسَر في إيماننا فنلجأ إلى الله –سبحانه وتعالى– ونسلم بقضائه وقدره وقال الله –تعالى-: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}[11] ويشرح الله –سبحانه وتعالى– صدر العبد المؤمن ويفتح عليه ويُغلق عليه أبواب الشيطان فيقول: قدَّر الله وما شاء فعل، ويقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فهذه الكلمة هنا في موضعها كلمة تفويض وكلمة إيمان بالقضاء والقدر، وهذه الكلمة عظيمة جدًا فيها معاني إذا المؤمن لم يقلها في موضعها يشعر بتلك المعاني يعني لا شك .

هذه أهم المعاني في هذا الحديث النبوي العظيم ونعيد قراءته مرة أخرى، عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوي خيرٌ وأَحَبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن "لَوْ" تفتح عمل الشيطان).

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[11] سورة التغابن: (11).